

كيف تهدد سياسة طهران في إفريقيا المصالح الإسرائيلية في القارة؟

بينما يتركز الاهتمام الإسرائيلي هذه الأيام بشكل رئيسي على المساعدات التي تقدمها إيران للوكلاء في إطار نظام "السيوف الحديدية"، تواصل طهران توسيع أنشطتها في أنحاء القارة الإفريقية، بما يزيد من التهديد السياسي للمصالح الأمنية والاقتصادية الإسرائيلية في هذه القارة. وفي ضوء ذلك، يتعين على إسرائيل صياغة استراتيجية تمنع إيران من تحقيق أهدافها فيها.

منذ بداية حرب "السيوف الحديدية" بل وأكثر من ذلك منذ هجوم 14 نيسان/أبريل الذي نفذته إيران ضد إسرائيل باستخدام أسراب من الطائرات بدون طيار، يبدو أن الاهتمام الإسرائيلي في السياق الإيراني يتركز بشكل أساسي على المساعدات التي ترسلها طهران إلى وكلائها في جميع أنحاء الشرق الأوسط من أجل الضغط على إسرائيل لوقف الحملة في قطاع غزة وبالتالي إنقاذ حماس، فضلاً عن احتمال نشوب حرب شاملة بين البلدين. إن تركيز إسرائيل على النشاط الإيراني في جميع أنحاء الشرق الأوسط قد يؤدي إلى إغفال اتجاه مهم للغاية في السياق الإيراني، ألا وهو تزايد النشاط الإيراني في القارة الإفريقية في الأشهر الأخيرة. وهذا النشاط يعرض عدداً من المصالح الأساسية لإسرائيل للخطر في القارة.

لقد كانت إفريقيا قارة "مفضلة" لأنشطة إيران منذ بداية الثورة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى مجموعة واسعة من الأسباب: فقد رأت إيران هوية أيديولوجية بينها وبين العديد من البلدان في إفريقيا، في ضوء رغبتها المشتركة في محاربة "الغازي الغربي الأجنبي"؛ بل إن طهران أرادت حماية الأقلية الشيعية الكبيرة في جميع أنحاء القارة، كما سعت إلى استغلال موارد القارة لتلبية احتياجاتها الخاصة. هذه الأسباب والقرب الجغرافي لإفريقيا من الشرق الأوسط جعل من القارة عاملاً جاذباً في نظر القيادة الإيرانية.

في حين أن العلاقات بين إيران وإسرائيل قد شهدت تحولات كبيرة في السنوات الأخيرة، فإن التهديد الذي تشكله إيران لإسرائيل في إفريقيا لا يزال قائماً. يجب على إسرائيل أن تتخذ تدابير استباقية لتقليل هذا التهديد.

وحتى في عهد الرئيس محمود أحمدي نجاد، زادت إيران من نشاطها السياسي في جميع أنحاء القارة الإفريقية، ولكن يبدو أن الرئيس الإيراني السابق، إبراهيم رئيسي، أخذ الفكرة عدة خطوات إلى الأمام. وفي إطار رغبته في تعزيز العلاقة مع "الجنوب العالمي"، كبدل سياسي واقتصادي للغرب، اعتبر رئيسي تعزيز العلاقات مع إفريقيا الهدف السياسي الأول والأهم لرئاسته، وعمل على تعزيز العلاقات مع العديد من الدول. في القارة، عقد العديد من المنتديات المشتركة. وزار عدة دول.

وفي الأشهر الأخيرة، زادت إيران أنشطتها في إفريقيا. ولا يتعلق الأمر بتعزيز المصالح الاقتصادية والسياسية فحسب، بل يتعلق وبرغبة إيران في توسيع مبيعات نفطها إلى العديد من دول القارة للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية منها. وهذا الاتجاه ملحوظ بشكل خاص في منطقة شرق إفريقيا، ولكن يمكن ملاحظة الزيادة في النشاط الإيراني بشكل عام في جميع أنحاء القارة.

وفي منطقة القرن الإفريقي وشرق القارة، تواصل طهران توسيع علاقاتها مع السودان وتنقل إلى أيدي الجيش السوداني طائرات بدون طيار من نوع مهجر 6، لتعزيز قدراتها في إطار العمل المدني في البلاد، ومع الاعتقاد أن إيران بهذه الطريقة ستتمكن من جني مكاسب سياسية وأمنية، من حيث تجديد العلاقة السياسية بين الدول، وإنشاء ميناء لاستخدام طهران في منطقة بورتسودان، وهذه العملية تشبه إلى حد كبير المساعدة التي قدمتها إيران لرئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد، كجزء من الحرب الأهلية التي شنها ضد المتمردين من مقاطعة تيغراي، وهي المساعدة التي أدت إلى تحسين قدرات الجيش الإثيوبي بشكل كبير.

منذ تولي الرئيس إبراهيم رئيسي مقاليد الحكم في إيران، شهدت العلاقات بين البلدين تطوراً ملحوظاً. فبعد سنوات من التجمد، بدأت إيران في تعزيز تواجدها في إفريقيا، خاصة في دول مثل السودان، حيث تسعى إلى توسيع نفوذها السياسي والاقتصادي. كما أنشأت إيران مكاتباً تجارية في عدة دول إفريقية، مما يعزز من قدرتها على التفاعل مع المنطقة. بالإضافة إلى ذلك، شهدت العلاقات بين البلدين تحسناً ملحوظاً في المجال الاقتصادي، حيث ازدادت التبادلات التجارية بين البلدين بشكل كبير.

وإلى جانب تعميق العلاقات مع السودان، جددت طهران علاقاتها الدبلوماسية مع جيبوتي العام الماضي بعد انقطاع دام سبع سنوات. وكان موقع جيبوتي الاستراتيجي بالقرب من مضيق باب المندب أحد الأسباب الرئيسية لرؤية طهران لتجديد هذه العلاقات. إلى جانب هذه الجهود، تعمل طهران على تعميق علاقاتها الدبلوماسية مع القاهرة من خلال مجموعة واسعة من القنوات.

إن تعميق العلاقات مع الجيش السوداني، والرغبة في تعزيز العلاقات الدبلوماسية مع مصر، وتجديد العلاقة السياسية مع جيبوتي، يسمح في هذه المنطقة الاستراتيجية. وستخدم لإيران بزيادة وجودها الأمني هذه الخطوة عددًا من الأغراض المهمة من وجهة نظر إيران، من بينها زيادة "الحصار الاقتصادي" على إسرائيل، وإعادة بناء قنوات لنقل الذخيرة إلى حماس في قطاع غزة، فضلًا عن تحسين القدرة على زيادة إسقاط قوتها.

وحتى في شمال إفريقيا، تواصل إيران توسيع علاقاتها السياسية مع تونس، ومؤخرًا تم إلغاء شرط التأشيرة للمواطنين الإيرانيين الذين يسعون لدخول البلاد، وذلك على ما يبدو بهدف تسهيل بناء العلاقة الاقتصادية بين البلدين. ويضيف توسيع هذه العلاقات أيضًا إلى العلاقات الاستراتيجية التي بنيت في السنوات الأخيرة بين إيران والجزائر، وكذلك إلى البصمة الأمنية والسياسية التي تتمتع بها طهران في ليبيا. ومن خلال القيام بذلك، تحاول إيران بناء "سلسلة إقليمية متصلة" في البلدان الشمالية من القارة، ما يسمح لها ومضيق جبل طارق، بطريقة تزيد بالوصول إلى البحر الأبيض المتوسط من التهديد الذي تتعرض له القارة الأوروبية، بل وبالأساس لزيادة الضغط العسكري على المغرب، الذي تعتبره القيادة الإيرانية معقل النشاط الإسرائيلي/الأمريكي في هذه القارة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الوجود الإيراني يسمح لها بزيادة المساعدات العسكرية لمتمردي البوليساريو، الذين يقاتلون الوجود المغربي في منطقة الصحراء الغربية. وإلى جانب ذلك، تحاول إيران أيضًا توسيع علاقاتها السياسية مع موريتانيا، وبالتالي زيادة "الشعور بالحصار" على المغرب من جانبه الغربي أيضًا.

00 00000000 0000 00 "000000 00000000 000000" 0000 000000 000000
 00000000 00000000 000000 000 00000000 000 00000000000000 000 000000
 00000000 0000 00000000 0000 00000000 000 00000000 000000 0000 00 000
 00000000 000 00 0000000000 - 000000000000

وإلى جانب هذا النشاط في القرن الأفريقي وشمال أفريقيا، تعمل إيران على توسيع علاقاتها الاقتصادية مع مختلف البلدان في شرق القارة، بما في ذلك كينيا وأوغندا وزيمبابوي. إلى ذلك، تحاول طهران استغلال الفراغ الناجم عن "انسحاب" الوجود الفرنسي في منطقة الساحل، وكما هي الحال مع الصين وروسيا، فإنها تحاول أيضاً الحصول على حصة اقتصادية وسياسية في تلك الدول. ومن الأمثلة على

ذلك النيجر، حيث لدى إيران عدد كبير من المصالح مثل خامات اليورانيوم، التي يمكنها شراؤها لاستخدامها في برنامجها النووي. وفي الواقع، لم يتم الإبلاغ إلا مؤخراً عن توقيع اتفاقية بين البلدين حول هذه القضية.

ويجب أن تثير هذه التطورات قلق إسرائيل بشكل خاص، لأنها تزيد من التهديد العسكري عليها من منطقة القرن الإفريقي وتهدد قدرتها على مواصلة الاتجاه نحو تشديد العلاقات السياسية مع العديد من الدول في جميع أنحاء القارة. وفي هذه الأثناء، تعمل إيران على الإضرار بالجهود السياسية التي تبذلها إسرائيل، وخاصة تجاه منظمة الدول الإفريقية، من خلال الجزائر وجنوب إفريقيا، اللتين يدّعي أنهما تفرضان ثمناً من دول القارة مقابل دعمها لإسرائيل (المغرب على سبيل المثال). وتستخدم إيران علاقاتها معهم للتحايل على العقوبات المفروضة عليها من قبل الغرب، وقبل كل شيء لتعزيز مكانتها باعتبارها مصدرًا رائدًا للأسلحة في العالم، وذلك بشكل أساسي من خلال تصدير الطائرات بدون طيار التي تمتلكها إلى أي شخص يريد.

وفي ضوء ذلك، فمن الصحيح أن تفكر إسرائيل في بناء استراتيجية هدفها الحفاظ على قدرتها على النفوذ في القارة الإفريقية إلى جانب تقليص كبير لقدرة إيران على النفوذ في إفريقيا. ولأن التوقيع السياسي لإسرائيل في هذه القارة محدود للغاية (لدى إسرائيل 10 ممثلات في القارة الإفريقية وحدها)، فمن الصحيح دراسة الخطوات التالية:

التعاون مع دول الخليج، التي تنظر أيضاً بعين الشك الشديد إلى - النشاط الإيراني في إفريقيا، والذي يعرض مصالحها الأساسية في القارة للخطر.

تعميق التنسيق مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بالعلاقات مع - الدول التي تخشى النشاط الإيراني وخاصة لتحقيق أسعار الربح (أو الخسارة) لأي دولة تختار عدم التعاون مع إيران.

تعميق العلاقات الأمنية مع دول القرن الإفريقي ودول شرق إفريقيا؛ - لمنع إيران من "السيطرة" على البحر الأحمر لتلبية احتياجاتها الخاصة، وفي الوقت نفسه تعزيز التنسيق مع مصر فيما يتعلق بالبحر الأحمر. منع الزحف الإيراني في هذه المنطقة.

تكثيف كبير للحملة السياسية الرامية لمنع إيران من تصدير - الأسلحة النووية التي تمتلكها، ومن ثم تحسين وضعها الاقتصادي

)).(من خلال تبادل هذه المساعدات والأمني

توسيع المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تقدمها لدول القارة -
التي تعارض الوجود الإيراني فيها، والتي اختارت الحفاظ على
علاقاتها مع إسرائيل، رغم "إغراءات" تعميق التعاون مع طهران

خلاصة القول، إن توسع النشاط الإيراني في جميع أنحاء إفريقيا يعرض
مصالح إسرائيل المهمة في القارة للخطر. ومن دون بناء استراتيجية
واسعة مع دول أخرى، يكون هدفها تحدي هذا النشاط، قد تستخدم إيران
موطن قدمها في إفريقيا لزيادة التهديد العسكري والاقتصادي
لإسرائيل، ولثني الدول الأخرى عن التعاون معها، ولإقناع الدول الأخرى
بعدم التعاون معها، وتحصيل ثمن من تلك الدول التي اختارت زيادة
التعاون مع إسرائيل.

داني سترينو فيتش

منشورات مركز بحوث الأمن القومي الاسرائيلي 15/7/2024

ترجمة صحيفة القدس العربي